(٩٢)

"النصر للخير"

جنح لكتابة نهاية سعيدة لقصته القصيرة مثلما يفعل كل القصاصين عندما يشرعون فى كتابة قصة مأساوية طويلة مليئة بالأحزان المريرة والعبرات الكثيرة. وما أن أمسك بقلمه ليفتعل تلك النهاية المتوقع منه أن يكتبها، والمرجوة فى ذهن كل قارئ يأمل أن يقرأها، حتى تساءل عن سبب سعى الإنسان فى كل زمانٍ ومهما اختلف مكانه وتبدلت مكانته إلى بلوغ تلك النهاية السعيدة، حيث الهناء وراحة البال، وانقطاع تيار الآلام بعد تدفقٍ أرهق الكاهل وأضعف الأبدان.

وقال لنفسه : "لابد وأن حتمية النهايات السعيدة، وانتصار الخير النهائى على الشر نابع من مخزون معرفى ثابت فى أذهان الناس جميعًا، وهو الذى منحهم ذلك اليقين القوي بحتمية انتصار الخير فى النهاية وهزيمته للشر مهما طال أمده واختلف شكله، ولكن من أين جاءوا جميعًا بتلك القناعة؟! هل هى فطرة فُطِروا عليها تبزغ صورتها أمامهم، ويعلو صوتها الحبيس داخلهم كلما احتاجوا إليها واشتد أملهم فيها؟ أم هى وهمٌ يزداد تعلقهم به كلما تأكدوا من عدم تحققه على أرض الواقع، فلا يجدون أمامهم سوى تلك الفبركة الخيالية والثابتة لقصصهم التى أضحت هى الأخرى وهمية وغير موضوعية عندما بذلوا

قصارى جهدهم فى صباغتها بصبغةٍ ثابتة يرضونها، وترضِى قراءهم لأنها تُسَكن من آلامهم، وتخفف من أوجاعهم؟!"

لقد قرر الكاتب أن ينهى قصته القصيرة بنفس النهاية التى ينهى بها كل راوٍ قصته، فانتصر الخير على الشر بعدما تعمَّد هو أن ينتصر له، وانهزم الشر فى النهاية هزيمة لا تمكنه من العودة.

ولقد كان وهو يتعمد تكرار تلك النهاية المألوفة على قناعة أكيدة بأن انتصار الخير ليس تقليدًا أعمى، بل هو أمرٌ حتمى، وحقيقة واقعية لابد لها من الوقوع، ولا يمكن أن يعتريها شك أو يخفيها توهم، وأن بزوغ الحق وانتصاره فى النهاية، هو تلك الفطرة التى تتحدى كل ما يصفدها من أغلال لتتجلى وتتحقق مطارِدة بضراوة كل ما يواجهها من أحداث وتحديات، أو ما قد يحاوله أى قاص من أن يحرِّف فى خياله مستعينًا بقلمه تلك النهاية الحتمية والمألوفة، متحايلاًعلى النمط المعتاد الذى يركن إليه الناس غير راجين سواه، طالما كانوا هم من أولئك المتعاطفين مع الخير، والمتمسكين بالحق، والمنتمين لأهله، حتى لو كان أملهم الوحيد فى تحققه مرتبطًا بخوارق المعجزات.